تأملات في قوله تعالى:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

الآجري

WWW.AJURRY.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده-تَعَالى-ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمَّدًا عبده ورسوله-صَلَّى الله عَلَيه وَعَلى آله وصَحْبِه وَسَلَّم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3].

---

[1] [آل عمران:١٠٢]

[2] [النساء:١]

[3] [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمَّا بعد،

فإنَّ أصدَق الحديث كتاب الله-تَعَالَى-، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد أيُّها الأحبَّة:

فنحمد الله-جَلَّ في عُلَاه-الذي لا يستحق الْحمد أحدٌ سواه جَلَّ وَعَلَا الذي يسَّر هذا اللقاء، ونسأله جَلَّ وَعَلَا الْمزيد من فضله.

وهذه الكلمة أيُّها الأحبَّة في مثل هذا الْمقام هي كلمة تذكيريَّة والذكرى تنفع الْمؤمنين، وكلمتي هي تذكيرٌ لأمرٍ عظيمٍ، نحتاج إلى أن نتذكَّره وأن نستصحبه دائمًا وأبدًا، بل يصبح الْمرء ويُمسي عليه، ويُمسي ويصبح عليه، فلا يزال ملتزمًا به إن أراد النجاة والخروج من الظلمات إلى النور.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا-وهذا التعليق هو على قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة المائدة-: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ

قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾[٤].

هذه الآية العظيمة من سورة المائدة فيها بيانٌ من الله جَلَّوَعَلَا لِمَا جاء به الرسول الكريم-صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْه-، وهو أنَّه يُبيِّن لَهم ولغيرهم ﴿...كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ...﴿١٥﴾ ﴾، ففيه بيان لِمهمَّة من مهامِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وهو البيان.

والرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ مهامِّه ووظائفه كما هنا البيان، ومن مهامِّه أيضًا ووظائفه الدعوة في قوله جَلَّوَعَلَا ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴿١٢٥﴾ ﴾[٥].

ومن مهامِّه ووظائفه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ التي جاء بها البلاغ، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴿٦٧﴾ ﴾[٦].

---

[٤] [المائدة:١٥]

[٥] [النحل:١٢٥]

[٦] [المائدة:٦٧]

فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مهامِّه ووظائفه البيان والبلاغ والدعوة، وهذه الدعوة وهذا البلاغ وهذا البيان هو الْخير الذي جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والْهدى الذي دلَّ الناس إليه، فَمَن سلك هذا السبيل ولزم هذا الطريق وسار على ذلكم الْمنهاج كان على سَنَنِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقته، وكان مِمَّن يدعو إلى الخير.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ...١٠٤ ﴾[٧]، والخير كلُّه فيما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[٨].

قال إمام المفسرين–الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَه–عند آية المائدة آنفة الذكر في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾[٩].

---

[٧] [آل عمران:١٠٤]

[٨] [الأحزاب:٢١]

[٩] [المائدة:١٥]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا...) في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ...قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾.

قال: (...يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي أَنَارَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ يُبَيِّنُ الْحَقَّ...)[10] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لَمَّا بعث الله محمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأمره بالبيان والبلاغ والدعوة جاء معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الْحق وزهق الباطل، وجاءت معه الحياة، وجاء معه النور والْهدى، وجاء معه العدل، ومحا الله به الشرك والظلم وزهق الباطل ﴿ ...إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾[11].

أخرج الإمام البخاري في الصحيح[12] أنَّ عطاء بن يسار-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-قال: (...لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟...).

عطاء يسأل عبد الله بن عمرو عن صفة رسول الله في التوراة، لِمَاذا يسأله؟، لأنَّه يعلم أنَّ عبد الله بن عمر كان له علم بالتوراة.

---

[10] جامع البيان/ ج: ١٠، ص: ١٤٣/ مكتبة ابن تيمية.

[11] [الإسراء:٨١]

[12] (٢١٢٥)

فكأنَّه يقول له: صِف لي رسول الله كما قرأت ذلك في التوراة.

فـقال ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (...قَالَ: (أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[13]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا...) انتهى كلمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه.

هذه هي صفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عنده في التوراة، والأمر كما قال-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاه-، والْمراد بقوله: (...وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ...) أي: حافظًا، وأصل الْحرز الْموضع الْحصين، والْمراد بالأمِّيين: العرب.

وقوله: (...وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ...) السخب يقال بالسين ويقال بالصاد الصخب: رفع الصوت في الْخِصام.

وفي قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (...وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ...) هو كقوله

[13] [الأحزاب:٤٥]

جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ...﴿٩٦﴾ ﴾[١٤].

وقوله: (...وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ...) الْمراد بالقبض هنا: الْموت، بِمعنى: يُميته الله، بِمعنى: ولن يُميته الله (...حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ...)، والْمراد بـ (...الْمِلَّةِ الْعَوْجَاء...) يقول الحافظ ابن حجر: (...أي: حتَّى ينفي الشرك ويثبت التوحيد...)، والْمِلَّةُ الْعَوْجَاء: مِلَّةُ الْكُفر.

وقال في موطنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...ووصفها بالعوجاء لَمَّا دخل فيها أو ما دخل فيها من عبادة الأصنام، والْمراد بإقامتها: أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيْمَان...)[١٥].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا...) أي: يفتح بكلمة التوحيد، (...أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا...)، وفي موضع آخر جاء بلفظ (...أَعْيُنَ عُمْيٍ...) بالإضافة، (...وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا...) أو (...أَعْيُنَ عُمْيٍ وَآذَانَ صُمٍّ...).

هذه صفته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندهم في التوراة، فمحق الله به الشرك، وأظهر الله به التوحيد، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صُمًّا والقلوب الغلفًا.

---

[١٤] [المؤمنون:٩٦]

[١٥] فتح الباري، ج: ٤، ص: ٣٤٣/ دار المعرفة

في جامع الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن-رَضِيَ الله تَعَالى عَنْه-، قال-رَضِيَ الله تَعَالى عَنْه-والحديث قال عنه الحافظ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صحيح غريب[١٦]، وهو صحيح، وقد أخرجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامعه وفي الشمائل أيضًا وهو عند ابن ماجه في السنن[١٧] وعند الإمام أحمد في المسند[١٨] وعند ابن حبَّان في الصحيح[١٩] والحاكم في مستدركه، والحديث صحَّحه ابن حبَّان والحاكم والعلاَّمة الألباني[٢٠]-رَحِمَ الله الْجَمِيْع-وهو كما قالوا.

قال أنس-رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ-: (لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا) انتهى كلامه-رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ وَرَحِمَه-.

---

[١٦] سنن الترمذي (٣٦١٨)

[١٧] سنن ابن ماجة (١٦٣١)

[١٨] مسند الإمام أحمد (١٣٨٣٠)

[١٩] صحيح ابن حبَّان (٦٦٣٤)

[٢٠] مشكاة المصابيح (٥٩٦٢ -[٧])

قال العلَّامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقًا على ذلك في مختصر الشمائل[٢١]، قال: (هذا تعبير عن اللوعة بفقد أكرم الرسل، وأنَّها ساعة شديدة حتَّى أنكروا أنفسهم من شدَّة الحزن وانقطاع الوحي وفقد الصحبة) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وحقَّ لأولئك الصحب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هذا التعبير وهذا الإنكار بقلوبهم لشدة ما وقع عليهم من حزن شديد وانقطاع الوحي وفقد صحبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أخرج الإمام البخاري في الصحيح أنَّ جابرًا-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ...) يعني: خطيبًا (...فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ...) من الأنصار (...يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟، قَالَ: (إِنْ شِئْتُمْ)، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا...) صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ (...فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ...) يعني: الذي يليه (...دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ...) يعني: صَعَدَه (...فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ...).

يقول جابر: (...فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ...) يقول جابر: (...تَئِنُّ...) أو يَئِنُّ (...أَنِينَ

[٢١] ص: ١٩٧/ مكتبة المعارف، الطبعة الرابعة: ١٤١٣هـ

الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ...) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا)[٢٢].

قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي في السير، قال: (...يَا عِبَادَ اللهِ، الخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقاً إِلَيْهِ، فَأَنْتُم أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ...)[٢٣] انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي جاءنا بالْخير والْهدى والسعادة والفلاح، من لزم سنَّته وتَمسَّك بِمَا جاء به من الْمحجَّة وغيرها نجا وأفلح، ومن تركها هلك ولا يضرُّ إلَّا نفسه.

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما جاء عند البخاريِّ في الصحيح وغيره: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[٢٤].

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (...وَالْمَوْصُوفُ بِالْإِبَاءِ وَهُوَ الِامْتِنَاعُ إِنْ كَانَ كَافِرًا فَهُوَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَصْلًا وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَالْمُرَادُ

---

[٢٢] صحيح البخاري (٣٥٨٤)

[٢٣] سير أعلام النبلاء، ص: ٥٧٠/ ط: الحادية عشرة ١٤١٧ هـ مؤسسة الرسالة

[٢٤] صحيح البخاري (٧٢٨٠)

مَنْعُهُ مِنْ دُخُولِهَا مَعَ أَوَّلِ دَاخِلٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى...)[٢٥].

ولِهذا الذي يظهر هنا رتبٌ ومنازل، فَمن دخل في هذه الْمحجَّة ولزمها نجا ودخل الجنَّة بإذن الله ولَمَّا يُخْشَ عليه.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ﴾[٢٦] الآيات.

وهذا النبي الكريم-صَلَوَات الله وَسَلَامُهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم-جاءنا بالْخير والْهدى والفوز والفلاح، فلا نجاة للناس ولا فلاح لَهم سعادة ولا سؤْدَد إِلَّا بلزوم ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والتأسِّي به في الأقوال والأفعال.

قال الله-جَلَّ في عُلَاه-: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[٢٧].

قال الإمام ابن كثير-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى-عند هذه الآية من سورة الأحزاب، قال: (...هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَلِهَذَا أُمِرَ...) الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

---

[٢٥] فتح الباري، ج: ١٣، ص: ٢٥٤-٢٥٥/ دار المعرفة

[٢٦] [الليل:١٤-١٧].

[٢٧] [الأحزاب:٢١]

(...النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ، عَزَّوَجَلَّ...)[٢٨] انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمن رام السعادة والفلاح وبحث عن النجاة في غير طريقه وسبيله خاب وخسر، أمَّا الذي نَهج السنَّة أفلح ونجح وفاز.

يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (...وَالْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ وَالْكَمَالُ وَالصَّلَاحُ مُنْحَصِرٌ فِي نَوْعَيْنِ: فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ؛ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ...)[٢٩]أهـ.

ومعلوم أيها الأحبَّة أنَّ العلم النافع هو ما جاء عن الله جَلَّوَعَلَا وما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ موصيًا أصحابه كما ذكر ذلك السَّفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، قال: (..ابن آدم لا تغتر بقول من يقول: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، إنَّه من أحب قومًا اتبع آثارهم...).

---

[٢٨] تفسير ابن كثير، ج: ٣، ص: ٤٨٠/ مؤسسة المختار، ط: ٣، ١٤٢٣هـ

[٢٩] مجموع الفتاوى، ج: ١٩، ص: ٩٩/ المكتبة التوفيقية

أقول: قوله: (...لا تغتر بقول من يقول: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ...)، هذا حديث متَّفق عليه (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[٣٠]، لكنَّ بعض الناس يحتجُّ بِهذا الحديث وترى أنَّ أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، بل تجد اعتقاد بعضهم لو فتَّشت على خلاف ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا هو مراد الإمام الحسن.

قال: (...إنَّ من أحب قومًا اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بِهديهم، وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي وأنت على منهاجهم، حريصًا على أن تكون منهم، فتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصرًا في العمل، فإنَّمَا ملاك الأمر أن تكون على استقامة.

أمَا رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم، لأنَّهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار، نعوذ بالله من ذلك...)[٣١] انتهى كلامه-رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ-.

---

[٣٠] صحيح البخاري (٦١٦٨) (٦١٦٩) (٦١٧٠)، صحيح مسلم (١٦٥-٢٦٤٠)، سنن أبي داوود (٥١٢٧)،

[٣١] شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد (ج: ١، ص: ٦١٧)/ المكتب الإسلامي.

فيا إخوتاه: لزوم الحق بعلم وعدل ودعوة الناس إلى هـذا الْهدى وبيانه لَهم بالعلم والْحلم والحجة والبرهان، وكما قلت: بعلم وعدل، وأن نقوم بالواجب الذي قام به أهل الصلاح والتقى والفلاح من سادات الأمَّة من علماء الدين والْملَّة-رِضْوَان الله عَلَيْهِم وَرَحِمَهُم-.

فالْمرء العاقل الحصيف الذي يريد النجاة كما قلت يلزم ذلك ويدعو إليه ويثبت عليه فالأمر قريب جِدٌّ قريب، والله جَلَّوَعَلَا بالْمِرصاد وإليه الْمرجع والْمعاد ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[٣٢].

وخاصَّة ونحن في مثل هذه الأزمان-نَسْأَلُ الله اللُّطْفَ والْسَلَامَةْ-نجد حربًا ضروسًا على السنَّة وأهلها وحملتها بعلم وعدل، الذين حملوها ودافعوا عنها، نجد حربًا لا هوادة فيها.

فلزومًا على أهل الحقِّ أن يلزموا الحق وأن يزدادوا في الثبات عليه، وأن يتزوَّدوا من العلم ويكثروا من ذلك مع صدق اللجأِ إلى الله جَلَّوَعَلَا في أن يزيل الغمَّة وأن يعينهم، فالأمر كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...فإنَّه لا يدرك خير إلَّا بعونه جَلَّوَعَلَا)[٣٣].

---

[٣٢] [الزلزلة:٧-٨]

[٣٣] الرسالة للشافعي/ ج: ١، ص: ١٠٩/ مكتبة دار الحديث، ط: ٣، ١٤٢٦هـ.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينصر السنَّة وأهلها في كلِّ مكان، وأن يُعِزَّ الحق ويعلي رايته، وأن يثبِّتنا جميعًا على الإسلام والسنَّة حتَّى نلقاه إنَّه جواد كريم.

وصلَّ الله وسلَّم وبارك على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلَّم.

السؤال الأوَّل: ما الكتب التي تنصحون بِها بالنسبة للمبتدئ في فنِّ مصطلح الحديث؟.

الجواب:

هذا السؤال قد أجبت عنه مرَارًا في لقاءات متعدِّدة في محاضرات وغيرها، ولكن طالب علم أصول الحديث أو علم المصطلح هذا يحتاج- مع أنَّه ينظر أو يقرأ-إذا ما قرأ في كتاب في علوم الحديث يحتاج إلى أن يدرس هذا العلم على معلِّم حاذق يدرس هذا الفن، فهذا فنٌّ عظيم وخطير لا يستحق أن يلجه كل أحد.

عِلمُ الحديثِ ذُو قوانِينْ تُحَدْ يُدْرَى بِها أَحْوَالْ مَتْنٍ وَسَنَدْ
فَذَانِكَ الْموضوعُ والْمقصودُ أَنْ يُعرَفَ الْمقبُولُ والْمَردُودُ

علم يتعلَّق بسنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فعلى كلِّ حال: هي حالة تقريبيَّة من الكتب التي ينظرها ولا بدَّ أن يدرسها سواء هذا الكتاب أو غيره من الكتب، منها الذي اشتهر وسار

عليه أهل العلم في بلدان شتَّى كدراسة المنظومة البيقونيَّة ابتداءً مع ما فيها من قصور، فهذا الكتاب-يعني-يعوزه تحرير في بعض المواطن، وعلى كلٍّ حال هو من الكتب المهمَّة، ومثله كتاب التوضيح الأبْهر للحافظ السخاوي في مثل هذه البدايات التي يبتدأ بِها الطالب وينظرها هذا في كتب أهل العلم.

وهذه المنظومة البيقونية عليها جملة عديدة من الشروحات التي شرحها بعض العلماء الذين سبقوا، وبعضهم من المعاصرين، ولا أستطيع أن أحيل إلى شرح واحدٍ منها، لأنِّي إن أحلت إلى شرح منها معنى هذا أنِّي أوافق على ما فيه في كلِّ ما فيه وليس الأمر كذلك.

على كلٍّ لنا شرح عليها طبع أسميته التعليقات الرضيَّة على المنظومة البيقونيَّة فُرِّغ أحد شروحي عليها وطُبِعَ، هذا من الرسائل التي إن شاء الله يستفيد منها الباحث ابتداءً مع ضرورة ما قلت أن يدرس هذا الفن على حاذقٍ، وهناك كتب أخرى منها-ليس في هذا المستوى مستوى أعلى نوعًا ما-كالموقظة للحافظ الذهبي، والاقتراح لابن دقيق، والمنهل الروي لابن جماعة، أو كتاب لفظ الْهداية لابن الجزري ونحو ذلك، واختصار علوم الحديث لابن كثير وهكذا، فهي مراتب بعضها أقوى من بعض أو أعلى من بعض.

السؤال الثاني: أحسن الله إليكم وجزاكم الله خيرًا، شيخنا هذا الأثر وهو: (كان أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا التقيا لَم يفترقا حتَّى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر).

السؤال شيخنا: هل هذا الحديث خاصٌّ-مُقيَّدٌ-برجلين فقط؟ أمْ يتعدَّى إلى الثلاثة والأربعة والأكثر؟.

الجواب:

لا هو طبعًا هذا يتعدَّى الأكثر، وقد جاءت آثار عديدة عن عمر وعن غيره هي تدل أنَّهم كانوا إذا اجتمعوا قرؤوا، ليس الْمراد به قبل الافتراق أن يقرأها بل كانوا إذا اجتمعوا ابتدءوا بالقراءة كما في الفقيه والمتفقِّه للخطيب البغدادي وغيرها من المصادر، وذكرها شيخ الإسلام في مواطن عدَّة من كتبه كالتوسُّل والوسيلة وغيره.

فعلى كلِّ حال: إذا ما اجتمعوا ابتداءً فبدءوا بقراءة فإذا ما أرادوا الانتهاء.

السؤال الثالث: جزاكم الله خيرًا وأحسن الله إليكم، رجل يخالف المنهج السلفي وله اتباع، هل يجوز أن يقال في هذا الرجل أنَّه رأس من رؤوس أهل البدع، هل تصحُّ هذه اللفظة أن تطلق على هذا الرجل؟.

الجواب:

بارك الله فيك، ما يتعلَّق بالأحكام هذه والأوصاف على الأشخاص-طبعًا الأسئلة العامَّة ينبغي أن تكون دقيقة نوعًا ما-، يعني: رجل مخالف للمنهج السلفي-كما يقولون-فهل هذه المخالفة عن عنادٍ أو عن غلطٍ أو عن سهوٍ؟.

فإن ثبت أنَّه مخالف للمنهج السلفي ولزوم جادَّة أهل السنَّة عن علمٍ وعمدٍ وإصرارٍ بعد البيان له، فالإنسان قد يخالف في بعض المسائل المتعلِّقة بِمنهج السلف عن جهلٍ وعدم معرفة فيبيَّن له يرجع إن شاء الله.

أمَّا إذا أصرَّ وعاند بعد البيان ولا حجَّة له هنا هذه المسألة تحتاج إلى تأمُّل والحكم فيها عليه يرجع إلى أهل العلم-أهل السنَّة ومشايخ أهل السنَّة-، وكونه يعتبر رأسًا أو ذنبًا-كما يقال-لا يُغيِّر هذا من الأمر شيئًا.

السؤال الرابع: جزاكم الله خيرًا وأحسن إليكم، ورد حديث في صحيح البخاري والحديث هو-حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: (إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)[٣٤].

وهناك حديث آخر: (أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دخل وسلَّم على أصحابه فوجدهم يصلون قعودًا من شدَّة الْمرض فقال لَهم: اعلموا أنَّما صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، فقاموا على ما بِهم من المرض).

شيخنا: كيف نوفِّق بين هاذين الحديثين واللذين ظاهرهما التعارض؟.

الجواب:

أقول: لا تعارض بينها أصلًا حتَّى في ظاهرهما، فالحديث الذي ذكرته أوَّلًا-حديث البخاري-بيِّن ظاهر (إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ...) الله (...لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا).

وهذا من فضل الله جَلَّوَعَلَا وجوده وكرمه وإحسانه على خلقه ومَنِّهِ جَلَّوَعَلَا وفضله أنَّه يجازي عبده الذي منعه الْمرض أو السفر من أن يقوم بِمَا كان يقوم به في حال إقامته وصحَّته.

---

[٣٤] صحيح البخاري (٢٩٩٦)

وهذا فضل عظيم وفيه حثٌّ كبير على المسارعة إلى الخيرات، القيام بالواجبات على وجهها التام حتَّى إذا ما عرض للعبد عارض كتب الله له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.

وأمَّا الحديث الثاني ففيه حثٌّ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على أن يُـؤدُّوا الفرائض في حال تمام وكمال، فمن كان منهم مريضًا فلا حرج أن يصلي على جلوس، ومن لَم يكن كذلك فليقم ويصلِّي قائمًا.

فيه الحثُّ ولِهذا قال: اعلموا أنَّ صلاة الْمرء القاعد على النصف من صلاة القائم.

السؤال الخامس: جزاكم الله خيرًا وأحسن إليكم، هـل يقـال في الأئمَّة الأربعة: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟.

الجواب:

على كلِّ حال: يعني من باب الدعاء بالترضِّي على أهـل العلـم لا حرج، وإن كان هذا اللفظ يخصُّ الصحابة، كما هو الحـال في السـلام والصلاة والسلام إنَّمَا يخصُّ الأنبياء، وإن كان قد يستخدم أحيانًا على من ليس بنبي كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (...اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَـى آلِ أَبِـي أَوْفَى)[٣٥]، أو كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

[٣٥] صحيح البخاري (١٤٩٧)

فعلى كلِّ حال: لا حرج لكن ينبغي للإنسان الترحُّم، وعلى هـــذا جرت سنَّة العلماء الصلاة والسلام يخصَّان الأنبياء أو الرســـل-عَلَـــيْهِمُ الْصَلَاةُ وَالْسَلَام-، والترضِّي للصحابة، والترحُّم على من دونَهم.

قام بتفريغها: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الثلاثاء الموافق: ٢٨/ جمادى الأولى/ ١٤٣٤ للهجرة النبوية الشريفة.

الآجري
WWW.AJURRY.COM
موقع علمي متخصص في المتون العلمية و طلب العلم الشرعي